حالة تكون فهذا هو تحقيق الاخلاص الكامل عن مشاهدة التوحيد الخاص جعلنا الله من
اهله بمنه وكرمه وانظر الي قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الي الله ورسوله فهجرته الي
الله ورسوله ومن كانت هجرته الي الدنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الي ما هاجر اليه
فانظر قوله عليه السلام فهجرته الي ما هاجر اليه وتامل هذا الامر ان كنت ذا فهم والسلام في هذا
الحديث النبوي تنبيه على هذا المعنى الذي ذكره وموضع الاعتبار والتامل والله
اعلم وقوله في القسم الثاني فهجرته الي ما هاجر اليه اي ولا نصيب له من الوصول والقرب الذي
حظي به من هاجر الي الله ورسوله وهو قوله فهجرته الي الله ورسوله وهذا من باب حصر المبتدا
في الخبر كما قال زيد صديقي اي لا صديق له غيري وكانه صلى الله عليه وسلم نبه في القسم الثاني
بالدنيا التي يريد ان يصيبها والمراه التي يريد ان يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف
معها وانه لا نعم عليها لا بينة ما لانت وان كان ظاهره طلب الحظ العاجل فقوله فهجرته الي
الله ورسوله هو معنى الارتحال من الاكوان الي المكون وهو المطلوب من العبد وهو مطمح
به غاية التصحيح وقوله فهجرته الي ما هاجر اليه هو ابتغاء مع الاكوان والتشوف اليها وهو
الذي نها عنه وهو منشاريه غير مصحح فليكن المريد عالي الهمة والنية حتى لا يكون له
التفات الي غير ولا كون اليه ولقد احسن الشاعر في قوله شعر

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق   محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

قال رجل لابي يزيد اوصني فقال له ان كان من العرش الي العرض قيل لا ادري وقال ابو سليمان
الداراني رضي الله عنه لو خيرت بين ركعتين ودخول الفردوس لاخترت الركعتين لان في
الفردوس حظي وفي الركعتين حق ربي وقال الشبلي رضي الله عنه احذر مكره ولو في قوله
كلوا واشربوا يريد لا تستغرق في الحظ ولتكن في كل شي به لا بنفسك وقوله كلوا واشربوا
وان كان ظاهره اكراما وانعاما فانه في باطنه ابتلا واختبارا حتى ينظر من هو معه ومن هو
مع الحظ لا تعجب ممن لا ينفصل حاله ولا بد لك على الله مقاله تكلم ها هنا في الهمة وهي اصل
كبير من اصول القوم فيها منافع وفوائد وكذلك استمر عليها شانه في تدبيرها وحديثا
وقد نبه المولف رضي الله عنه على فائدتها في قوله لا تعجب ممن لا ينفصل حاله ولا بد لك
على الله مقاله وانهاض الحال ودلالة المقال على الله تعالى هو فائدة الهمة ومعنى الكلام
المنصفة ها هنا هو ان يكون همته بالله تعالى مرتفعة عن المخلوقات لا يلجا في حوايجه
الا الى الله تعالى ولا يتوكل في اموره الا على الله تعالى قد سقط الناس من عينه فلا يرضي منهم

ولا نفعا وسقطت نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا ولا يقتضي لها حظا وتكون
اعماله كلها جاريه على مقتضى الشرع وهذه من صفات العارفين والموحدين فهمه
من هذه حاله وان قلت عبادته ونوافله ما مونه الغائلة محموده العاقبة خاليه لكل
فايده دينيه لان الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبوله على حب الاقتدا ممن
يستحسن حاله ولا يشترط في المصحوب اتصافه بتلك الصفات على غايه الكمال والتمام
فان ذلك متعذر وانما يشترط فيه ان يتصف منها بما يعرف به صاحبه فقط بحيث
يكون اعلامه حالا او اصوب منه مقالا ومن لم يكن على هذا الوصف وكان شانه
المعامله بالظاهر لا غير فليس له فايده في صحبته بل ربما زادته شرا لان خلطته
تدعوا الي التصنع له والتزين ويوديه ذلك الي كبائر ومعاصي القلوب واشد عليه
من معاصي الجوارح بكثير قال يوسف بن الحسين الرازي لان القى الله بجميع المعاصي
احب الي من ان القاه بذرة من التصنع فيدخل بذلك عليه النقص في حاله من حيث
رجا الزياده فيها قال بعض الصوفيه لا تعاشر من الناس الا من لا يزيد عنده ببر ولا
ينقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سوا وقال بعضهم كن مع ابنا
الدنيا بالادب ومع ابنا الاخره بالعلم ومع العارفين كيف شيت وقيل لبعض الصالحين
ان فلانا يحب ويكثر ذكرك فقال لانه لم يجد في واجله وعرف قدره ولكن يهون علي ان
القى الشيطان مائة مرة ولا القاه مرة واحدة قيل له كيف ذلك قال اخشى ان اتزين له
ويتزين لي قال الشيخ ابو طالب المكي وكانت هذه الطايفه من الصوفيه لا يصطحبون
الا على استوا اربعة معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض
على بعض ان اكل صاحبهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له صاحبه
افطر وان نام ليله كله لم يقل له صاحبه قم فصل وان صلى الليل كله لم يقل له نم بعضه وتستوي
احواله عنده فلا مزيد لاجل صيامه وقيامه ولا نقصان لاجل افطاره ونومه قالوا واذا
كان يزيد عنده بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة اسلم للدين وابعد من المرايات
من قبل ان النفس مجبوله على حب المدح وكراهه الذم ومبتلاه بان تزين حالها
التي عرفت به وان تظهر احسن ما يحسن عند الناس منها وان يجتنب ما يوجب
المدح منه ويجتنب ما يوقع الذم عنده فاذا صحبت من يعمل معه هذا فليس ذلك
طريق الصديقين ولا بغية المخلصين فمجانبة هولاء الناس اصلح للقلوب واخلص للدين وفي
معاشرة امثالهم قسوة القلب وخسران راس المال والسقوط من عين الله جل جلاله وكان
الثوري رضي الله يقول من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن وقع فيما وقعوا

Copyright © King Saud University